

Measuring the Vocabulary Variation Feature in Literary Style, A Comparative Study of Examples of Proses by Ibn al-Motafa, Jahiz and Abu Hajin Tohidi

Mahdi Davari Dolat Abadi *
Ahmad Omidwar **

Abstract:

Literary criticism is one of the important literary arenas that helps us to recognize the privileged literature, and it has based its evaluation on solid evidence, one of the most important of which is the literary style used by author to write his literary work. Vocabulary variation is one of the stylistic methods that, by measuring and comparing it in literary texts of writers, we can find the treasure of existing vocabulary available to each author. In fact, the statistical aspect in the study of literary styles is one of the fundamental criteria for the evaluation of literary texts. The importance of this review in the field of literary criticism, as an important step in avoiding mere speculation and analysis, is to understand the authors' styles. There are many ways to achieve the size of the vocabulary treasure for the various writers. The method we have chosen in this study is Johnson's method, which by measuring the similar and different vocabulary in literary texts of a writer and comparing it with other authors' texts, it presents a clear and comparative picture of the vocabulary variety in the literary texts of three great Abbasid writers, namely, Ibn al-Moghaafā, Jahez, and Abu Hayan Touhidi. This research, with a descriptive-analytical method, by comparing the styles of these authors, concluded that Jahez's style has the most diverse vocabulary than the other two authors, and there is very little difference between Ibn al-Moghaafā's style and Abu Hayan Touhidi's style. The main factor behind these differences is the scientific environment in which Jahez has lived and studied.

Keywords: Literary Style, Vocabulary Variation, Ibn al-Moghaafā, Jahez, Abu Hayan Touhidi.

References

- Ibn Khalkan. (1835). *Wafit al-Ayyān*. (Old print at the American University Library of Beirut), Lithography.
- Ibn Muqafi, A. (no date). *Kalila wa Dimna*. (1st edition). Damascus: printed and published by Dar Karam.
- Ibn al-Nadim. (1969). *Al-fehrest*, Cairo publishing.

* Assistant Professor of Quran Science and Education University, Faculty of Qom, Qom, Iran
(Responsible author) m.davari@quran.ac.ir

** Assistant Professor of Quran Science and Education University, Faculty of khomain, khomain, Iran
ahmad60omidvar@gmail.com

Received: 02/07/2018

Accepted: 02/06/2019



This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

-
- Abu Hayyan A. T. (no date). *Al emta wa al Moanesat*. (1st edition). Beirut: Al asriya publishing.
 - Anari Bakhshlooyi, I. & Omidwar A. (2012). Research on the variation of poetry vocabulary, case study, in the poems of Rahi Moairi, Hoshang Ebtehaj & Fereydoun Moshiri. *Journal of Literary Criticism and Stylistics*, 3(10), 31-58.
 - Bond Shahriari, A. A. & Seyed Rezaee, T. (2015). Comparison of poetry by Forough Farrokhzad, Farzaneh Khojandi and Khaleed Forough from the perspective of Johnson's theory. *Journal of Contemporary World Literature Research*, 70, 45-62.
 - Al-Tabitty, N. N. (2006). *Diverse expression in the literature of Ibn Muqafi*. Master's Thesis, Supervisor: Dr.Mahmoud Sayam.
 - Al-Jahiz, A. U. A. B. (no date). *Al-Bayan waltbine*. (1st edition). Beirut: Darjea al-Tarath al-Arabi publishing.
 - Harakat, M. (1998). *General linguistics and Arabic language*. Beirut: Al-asriya publishing.
 - Hussein, T. (1936). *From the story of poetry and prose*. Cairo: Al-sawi publisher.
 - Helmi, Kh. (1936). *The word and its terminological and semantic descriptions*. (1st edition). Alexandria: General Assembly of Egyptian Writers.
 - Al-Dakak, O. (2004). *The great of technical prose in the Abbasid Period*. (1st edition). Aleppo: Dar al-Qalam Al-arabi publishing.
 - Delara, S. S. (no date). *Ibn al-Muqafi, His biography and books*. Master's Thesis. (Supervisor: Dr.Anis Fariha). Beirut: American University of Beirut.
 - Alzaite, A. H. (2004). *History of Arabic Literature*. (8th edition). Beirut: Dar al-Maarefa.
 - Shouqi, D. (2001). *History of Arabic Literature: Abbasi period*. (2nd edition). Cairo: Dar al-Maaref publishing.
 - Al-sabah, M. A. (1990). *Abu Hayyan Al-Towhidi Philosopher of literature and literature of philosophers*. (1st edition). Beirut: Dar al-Kotob al-Elmiya.
 - Al-fakhori, H. (1998). *History of Arabic Literature*. Tehran. Toos publishing.
 - Kamal Zaki, A. (1961). *Literary life in Basra*. (1st edition). Damascus: Dar al-Fikr publisher.
 - Al-Masdi, A. (1982). *Method and Methodology*. (2nd edition). Tunisia: Arab Writers House Publishing.
 - Maslouh, S. (1993). *About Literary Text Methodological and Statistical Review*. (1st edition). Cairo: Ein Publishing for Humanities and Social Studies.
 - Maslouh, S. (1981). Measuring the diversity of vocabulary in literary style. *Journal of Faculty of Literature of Abdul Aziz University*, no.1. Jeddah: Saudi Arabia.
 - Wahidian Kamyar, T. (2007). Word types. *Persian Literature Magazine*, No. 15-16, pp. 20-29.
 - Hidegar, M. (2007). *Existence and time*. Tehran: Quknoos publishing.
 - Yacout, A. H. (1991). *Maajel Al-adeba*. Cairo: Dar al-Maamoun.

خاصية تنوع المفردات في الأسلوب الأدبي

دراسة تطبيقية لنماذج من كتابات ابن المقفع والجاحظ وأبي حيان التوحيدي^١

❖ مهدي داوري دولت آبادي

❖❖ أحمد أميدوار

الملخص

النقد الأدبي أحد المجالات الهامة في الساحة الأدبية. فهو يوصلنا إلى معرفة الأدب الراقي. تستخرج أحكامه من خلال الأسس والعناصر الهامة التي من أبرزها الأسلوب الأدبي الذي يتخذه الأديب، لصياغة أثره نثراً أو شعراً. إن تنوع المفردات هو أحد الملامح الأسلوبية التي يمكن بقياسها في النصوص التوصل إلى الثراء اللغوي الموجود عند كل أديب. في الحقيقة، البعد الإحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب. ترجع أهمية هذه الدراسة في حقل النقد الأدبي إلى أنها خطوة في طريق الابتعاد عن الظن وسيطرة الذوق، للكشف عن أسلوب هؤلاء الكتاب. هذا من جانب، ومن جانب آخر هذه البصمة الأسلوبية تساعدنا في توثيق النصوص التي يخامرنا الشك في صحة نسبتها إليهم. للوصول إلى هذه الثروة اللغوية طرق كثيرة؛ أما الطريقة التي استخدمناها فهي طريقة جونسون التي ابتكرها كيت جونسون أستاذ قسم اللسانيات في جامعة بركلي بأمريكا. تقوم هذه الطريقة بإحصاء الكلمات في النصوص وقياسها بالنصوص الأخرى وتقدم صورة واضحة عن خاصية تنوع المفردات مع دراسة تطبيقية لكتابات ثلاثة من كبار كتّاب النثر الفني في العصر العباسي، وهم ابن المقفع والجاحظ وأبو حيان التوحيدي. أما منهج البحث فهو يعتمد على الطريقة الوصفية. وصلت نتائج الدراسة بالمقارنة بين أساليبهم إلى أن أسلوب الجاحظ أكثر تنوعاً بالنسبة إلى الكاتبين الآخرين، وأنه يوجد فارق ضئيل بين أسلوب ابن المقفع وأبي حيان. ترجع الأسباب الرئيسة لهذا الفارق إلى البيئة العلمية التي عاشها الجاحظ وثقافته وجهوده الفردية في تثقيف نفسه وتوسيع معارفها، إضافة إلى أصالته العربية. فالأصل الفارسي لابن المقفع أثر في انخفاض تنوع مفرداته.

المفردات الرئيسية: الأسلوب الأدبي، القياس، تنوع المفردات، ابن المقفع، الجاحظ، أبو حيان التوحيدي

رمز تصنيف أصفهان: ٠٠٢٩٥

١- تاريخ التسلم: ١٣٩٧/٤/١١هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٨/٣/١٢هـ. ش.

Email:m.davari@quran.ac.ir

❖ أستاذ مساعد بجامعة العلوم والمعارف القرآنية - قم (الكاتب المسؤول)

Email:ahmad60omidvar@gmail.com

❖ عضو الهيئة التدريسية بجامعة العلوم والمعارف القرآنية - خمين

١- المقدمة

إنّ الكلمة أوّل عناصر الأدب شعراً أو نثراً، وهي الركن الأساس من كلّ أثر أدبي وتلعب دوراً هاماً في العملية التواصلية. تنوع المفردات يمنح الأديب التعبير عن الأحاسيس والأفكار باللفظ المناسب لها وتمدّه بقدرة التأثير والإقناع. إنّ الثروة اللغوية ذات أهمية كبرى في اكتساب الملكة اللسانية. فهي تساعد المؤلف في إنشاء ما يريد بسهولة وسرعة كما تساعده على الحديث عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة. من الواضح أنّ التكرار قبّح في العادة ومن عيوب الفصاحة والبلاغة، إلا إذا ما كان على مقتضى الحال ودلّ على غرض بلاغي، مثل التأكيد والتقرير وغيرهما. فبما أنّ التكرار عادة تعدّ من العوامل التي تقضي على فصاحة الكلام، قام بعض العلماء من أمثال ابن أثير وأبي هلال العسكري والخطابي بإفراد باب خاصّ في مؤلفاتهم لمسألة التكرار وأعراضها البلاغية في الآثار الأدبية والقرآن الكريم، لتبتعد هذه الآثار عن مظانّ عدم الفصاحة والبلاغة. من هنا، يتبين أنّ تنوع المفردات في الأسلوب ميزة جيّدة للمؤلف.

الثروة اللغوية هي من أبرز الميزات الأسلوبية والفنية للأدباء. فلذلك دراستها ترشدنا إلى قدرتهم في استخدام المفردات وطول باعهم في أساليب البيان المختلفة وطريقة استخدام هذه الثروة اللفظية والتعرف عليها عند صياغة النص. من الطرق التي يمكن باستخدامها تشخيص هذه الميزة، معادلة جونسون^١ التي نشرحها في السطور والصفحات التالية، وهي تأتي في مجال الأسلوبية الإحصائية التي تسعى إلى رصد درجة تكرار ظواهر لغوية معينة في أسلوب شخص معين رسداً علمياً دقيقاً وتناي عن الملاحظة العابرة وترفض تجزئة الإحساس الصادر عن التقاط الظواهر (المسدي، ١٩٨٢م، ص ٣٦)، وتصطنع الإحصاء للاقتراب من الموضوعية والصحة والابتعاد عن سيطرة الذوق في دراسة الأساليب الأدبية؛ وهذا يعدّ من أهمّ دلائل اختيار الإحصاء في دراسة الآثار الأدبية.

سنقوم في هذا البحث باستخدام إحدى معادلتها التي اقترحها كيت جونسون أستاذ قسم اللسانيات في جامعة بركلي بأمريكا. فهو من العلماء الذين اهتموا بإجراء أبحاث على أساس علم الإحصاء منها "تنوع المتكلم في صياغة النص"، الذي طبع سنة ١٩٩٧ للميلاد في سان دييجو. يدعو سعد مصلوح الناقد المصري إلى تطبيق هذه المعادلة على الآثار الأدبية العربية وكتب مقالاً على أساس "قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب" واستخدم فيه علم الإحصاء. إنّ هذا البحث يهدف إلى فحص الثروة اللغوية المستخدمة عند ثلاثة من الكتاب والأدباء، وهم ابن المقفع والجاحظ وأبو حيان التوحيدي ويقدم عرضاً نظرياً لإحدى الطرق الإحصائية المستخدمة في قياس خاصية تنوع المفردات مع دراسة تطبيقية لنماذج من النصوص الشريفة العربية لهؤلاء الكتاب الثلاثة.

ولا بد من الإشارة أنّ كلّ الكلمات التي يستخدمها المؤلف عند صياغة النص يختلف عن كلّ الكلمات التي يعرفها. لا يهدف هذا المقال إلى دراسة الضرب الثاني من الكلمات بل المراد هو الكلمات المستخدمة في آثارهم.

ولعلّ أول سؤال يخطر ببالنا ما أثر تنوع المفردات في كتابة هؤلاء الكتاب الثلاثة؟ وطبعاً كان هذا السؤال كبيراً بذاته، لأنّ كلّ دراسة تريد أن تثبت فرضية أو نظرية أو أن تصل إلى نتيجة ما. وفرضية هذا البحث هي أن تنوع المفردات يبيّن التوجه النفسي والباطني للكاتب، حيث يدلّ امتلاء ذهن الكاتب بالمفردات المتنوعة على أنّه يمتلك معجماً كبيراً أو خاصاً ويميزه عن سائر

1. Johnson

الكتاب والمفكرين. ومن الطبيعي أن يختلف هذا الثراء اللغوي بين الأدباء من الناحيتين: الأولى كمية هذه الثروة اللغوية عند كل من الكتاب؛ والثانية كيفية استخدام وتوزيع هذه الثروة اللغوية في النص عند بنائه.

ومن المتوقع عندما نقوم بعملية القياس في خاصية تنوع المفردات للكتاب الثلاثة ونستخلص النتائج، أن يمتاز بعضهم عن الآخر في إحدى الناحيتين أو كليهما. والآن بناء على هذه الفرضية التي طرحناها، نعرض سؤالين هما في غاية الأهمية حول الموضوع:

- أي أثر من الآثار هؤلاء الثلاثة من كبار كتاب العصر العباسي يعبر عن ثراء لغوي نسبي بالمقارنة إلى غيره؟ وما السبب؟

- كيف استخدموا خاصية تنوع المفردات عند صياغة نصوصهم؟

وأما قبل أن ندخل في طريق إجراء المعادلة على آثار هؤلاء فيجب أن نحدد معيار الكلمة أو بعبارة أخرى ما هي نحن بصدد دراستها في آثارهم.

٢- أهمية البحث

وبما أن تنوع المفردات يمثل الثروة اللغوية عند الأديب فتكون تعابيرها أدق وتكون الدلالة على المعنى المراد بشكل أفضل. فالكلمات المستخدمة من جانب الناثر أو الناظم في بناء النص تعتبر من أبرز الخواص الأسلوبية التي تدل على ثروته اللفظية ومكانته بين الأدباء وتعكس لنا شخصيته الأدبية وتفردته في أسلوب ما. فمن هنا يتضح مدى أهمية البحث والتعرف لتنوع المفردات عند الأدباء وقياسه بالنسبة إلى الآخرين.

ترجع أيضاً أهمية البحث إلى كلام هايدغر، وهو أن اللغة بيت الوجود؛ بعبارة أخرى أن الوجود يتبلور كاملاً في اللسان والكلمات ولا يستطيع أحد أن يتصور شيئاً دون أن يلجأ إلى الكلمات؛ وهذا حق جداً. نعم إن الكلمة قبلها تنفجر والتفجير الداخلي والباطني للكلمات تخلق الحقائق، فحقاً إن الكلمات مليئة بالطاقة واستخدام الكلمات وتنوع المفردات تؤثر تأثيراً عميقاً على معالجة الأديب للموضوع (هايدغر، ١٣٨٦هـ.ش، ص ٣٩٢). لذلك كل دراسة حول مفردات الآثار الأدبية تحظى بأهمية كبرى عند الباحثين. ثم قلة الثروة اللغوية للمؤلفين تؤدي إلى آثار سلبية في الإنتاج الأدبي والفكري والإبداعي والتواصل الاجتماعي. فالأدباء الأحياء يستطيعون باستخدام هذه المعادلة تشخيص ثروتهم اللفظية وتنمية الحصيلة اللغوية وإثرائها عند وجود الضعف. يمكن الاعتماد على قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب عند الشك في صحة نسبة النص إلى المؤلف لا في حقل الأدب فحسب، بل في حقول أخرى مثل النصوص القانونية.

٣- خلفية البحث

بعد الذي قدمناه من البحث والدراسة، وجدنا أن سعد مصلوح أول من استخدم معادلة جونسون في دراسة أشعار الشعراء العرب، وهم العقاد والرافعي وطه حسين (مصلوح، ١٩٨١م، ص ١٧٠ - ١٤٩). في إيران، ألف حامد الصدقي مقالات كثيرة على أساس هذه المعادلة. ويمكن للباحثين الحصول عليها من خلال المجلات المحكمة الإيرانية في مجال نقد الأدب. ثم قام إبراهيم الأناري وأحمد أميدوار سنة ١٣٩١هـ.ش بتطبيق هذه المعادلة على نماذج الآثار الشعرية لأشعار "رهي معيري وهوشنج ابتهاج

وفريدون مشيري". بعدهما أجرى علي أصغر بوند الشهرياري وطاهرة سيد رضائي سنة ١٣٩٣ هـ.ش بحثاً مستخدمين هذه المعادلة في دراسة أشعار "فروغ فرخزاد وفرزانه خنجدي وخالده فروغ".

٤- معيار الكلمة في هذه الدراسة

اهتم كثير من البحوث بالبحث حول مفهوم «الكلمة»، منها بحوث قُدِّمت في علم الصرف وعلم التركيب وعلم الدلالة وعلم المعاجم وعلم الأصوات وغيرها. وحاول كثير من العلماء تحديدها. ولولا ضيق المجال لأفضنا بشرحها. ولكن المشهور أنّ أوّل من اهتم بتعريف الكلمة وتقسيمها أفلاطون، حيث فرّق بين الاسم والفعل في جمل اللغة اليونانية وجعلها القسم الفعلي والقسم الاسمي (وحيدان كاميار، ١٣٨٤ هـ.ش، ص ٢٣)؛ وزاد فيها أرسطو قسماً جديداً يشمل حروف العطف وحروف الإضافة وحرف التعريف والضمائر (Hartman، ١٩٧٣ م، ص ٦٣). لقد اهتم بعض العلماء في تصنيف الكلمة على أساس اتصالها وانفصالها؛ وفي صدر هؤلاء بلومفيد (١٩٤٩ م) الذي يرى أنّ الكلمة هي أصغر شكل حرّ (حركات، ١٩٩٨ م، ص ٣٨)، بمعنى أنّ هناك شكلاً حرّاً وآخر مقيداً. فالحرّ ما يرد منفصلاً ومتفرداً عمّا قبله وعمّا بعده. فالضمائر المنفصلة "أنا ونحن وأنت وهو" وغيرها تشكل خطاباً مستقلاً يتألف من كلمة واحدة. وأمّا المقيد فهو ما لا يمكن أن يأتي منفصلاً بذاته مثل الضمائر المتصلة في "خرجت وأخرجه"، فالتاء في الأول والهاء في الثاني لا يمكن أن تشكل خطاباً مستقلاً فلا يجوز أن يقال «ت» و«ه». والمقياس في هذا البحث هو الشكل الحرّ للكلمة التي تظهر على هيئة مجموعة من الحروف المتصلة خطأ والتي يفصل بينها وبين ماسواها فراغ أوسع نسبياً من كلتا الجهتين^١.

٥- خطة البحث

تأتي في هذا القسم من المقال مراحل إجراء المعادلة. وسنشرح كلّ قسم منها حسب الترتيب: ١- تحديد العينات التي يجري عليها البحث؛ ٢- معايير تنوع الكلمة وتكرارها؛ ٣- طرق إحصاء نسبة التنوع؛ ٤- عرض للمعايير وطريقة تطبيقها على العينات؛ ٥- نتيجة تطبيق المعايير على العينات؛ ٦- تحليل المعطيات.

١.٥- العينات المدروسة

وقد اخترنا من كتابات هؤلاء الاعلام الثلاثة كتباً أدبية كالتالي:

- ❖ كتاب *كليلة ودمنة* لابن المقفع؛ وقد اخترنا منه الباب الأوّل، وهو باب الأسد والثور؛
- ❖ كتاب *البيان والتبيين* للجاحظ؛ وقد اخترنا منه الجزء الثالث الذي سمّي باباً منه كتاب العصا؛
- ❖ كتاب *الإمتاع والمؤانسة* لأبي حيان التوحيد، حيث قسم بحوث كتابه إلى. وقد اخترنا منه الليلة الخامسة والعشرين واللييلة السادسة والعشرين وقسماً من الليلة السابعة والعشرين.

١. راجع مقالة سعد مصلوح، (١٩٨١ م) تحت عنوان *قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب*، ص ١٥٣؛ وكذلك كتاب حلمي خليل، (١٩٨٠ م) بعنوان *الكلمة دراسة لغوية ومعجمية*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٣٤.

والجدير بالذكر أنّ النماذج التي اخترناها تدخل جميعها في إطار الأدب العربي وعالجوا فيها موضوعات اجتماعية أدبية بكتابات نثرية متنوعة. وقد اخترنا من كلّ كاتب عينة من كتاباته التي مر ذكرها متكونة من ثلاثة آلاف كلمة.

٥-١-١- سبب اختيار هؤلاء الأدباء

وأما السبب الذي دفعنا إلى اختيار هؤلاء الأعلام فهو أولاً أنّ هؤلاء الثلاثة من أهمّ أعلام الأدب العربي في صناعة النشر في العصر العباسي وكان لهم دور هامّ في مجالات الأدب والثقافة والنقد ويعتبرون من أهمّ المتخصصين في فنّ الكتابة وكذلك حظي أدبهم بانتشار واسع بين القراء من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ؛ ناهيك أنه لهم آراء نقدية عن الآخرين ؛ وثانياً أنّ أكثر الأحكام التي تصدر لهؤلاء الأعلام هي أحكام ذاتية ؛ وربما تكون صحيحة، إلا أنّها لم تقم على برهان ودليل علمي ؛ فلذلك أردنا أن نخطو هذه الخطوة بالمنهج العلمي لنرى مدى صحّة هذه الأحكام.

٥-١-٢- سبب اختيار العينات

يرجع سبب اختيار العينات في الدراسات الإحصائية إلى الأمرين ؛ أولاً أنه يكون من المستحيل عدّ كل المجتمع الإحصائي ؛ على سبيل المثال إذا أراد باحث عدّ كلّ نجوم السماء لا يمكنه هذا الأمر وإن أمضى كلّ حياته في الإحصاء ؛ ثانياً أنه يكون عدّ كلّ المجتمع الإحصائي صعباً، ومن أسبابه عدم توفرّ كلّ المجتمع الإحصائي أو تضييع الوقت الكثير من الباحث ؛ ولهذا السبب اخترنا عينات من هؤلاء الأدباء، لأنّ عدّ كلّ مفردات آثارهم يستغرق زمناً طويلاً ولا طائل فيه.

٥-٢- معايير التنوع والتكرار

نعتبر الفعل والاسم كلمة واحدة مهما اختلفت صيغتهما أو اختلفت تذكيرهما وتأنثيتهما أو إفرادهما وتثنيتهما وجمعهما. وإذا تعدّدت صيغ الجموع في الأسماء احتسبت أنواعاً. وإذا اتصلت بالاسم الياء اللاحقة الدالة على النسب أو لاحقة المصدر الصناعي فإنّ الصور الثلاثة تعتبر تنوعاً مثل ماء - مائي - مائية. وكذلك إذا دلّت كلمة واحدة على أكثر من معنى معجمي على جهة الاشتراك اعتبرت كلمات متنوعة ؛ وكذا إذا اختلفت صيغ الأفعال والمصادر والمشتقات بين الثلاثي والرباعي والخماسي تحسب كلمات متنوعة ؛ وكذلك تعد الكلمة الرئيسة مهما تعددت السوابق واللواحق. فهذه هي أهمّ الشروط التي التزمناها في الإحصاء وعند تطبيقها على العينات.

٥-٣- طرق إحصاء النسبة

قبل التطرق إلى بيان طرق إحصاء نسبة التنوع، نذكر باختصار كيفية تفرّيع العينات الثلاث الشاملة كلّ واحد منها على ثلاثة آلاف كلمة، وهي أنّه يجب أن نختار لكلّ عينة ثلاثين جدولاً ينقسم كلّ واحد منها إلى مئة قسم توضع في كل قسم كلمة واحدة. ثم نراجع كلّ كلمة من كلمات الجداول ونقارنها مع باقي الكلمات. فإذا كانت الكلمة مكرّرة في نفس الجدول رمزنا إليها بالخط الأسود وإذا كانت الكلمة مكرّرة في الجداول الأخرى رمزنا إليها بالخط الأحمر والطريقة نفسها نتبعها في باقي

١. راجع مقالة سعد مصلوح (١٩٨١م) بعنوان قياس خاصية تنوع المفردات في الأسلوب، ص ١٥٨.

العينات ، فبعد الانتهاء نستخلص عدد الكلمات المتنوعة في كلّ جدول بالنسبة إلى الجداول الأخرى ونكتب هذين الرقمين في أسفل الجدول. ثم يمكن أن نستخدم الجداول للتصنيفية لضمان عدم التكرار.

٤-٥. عرض للمعايير وطريقة تطبيقه على العينات

وأما الطرق التي يتمّ من خلالها إحصاء نسبة تنوع المفردات فهي أربعة طرق نذكرها باختصار على الترتيب الآتي :

١-٤-٥. إيجاد النسبة الكلية للتنوع

وذلك يتمّ من خلال حصر الكلمات المتنوعة في العينة كلّها ، ومن ثمّ قسمة العدد الحاصل على الطول الكلي للعينة ، وهكذا في العينات الأخرى فنحصل على النسبة الكلية للتنوع في المفردات. فمثلاً عند حصر الكلمات المتنوعة في عينة أبي حيان التوحيدي توصلنا إلى تنوع قدره ٧٠٩ من أصل ٣٠٠٠ كلمة. فالنسبة الكلية للتنوع في مفرداته ستكون ٠/٢٣ ، وللجاحظ كانت النسبة ٠/٢٧ ولابن المقفع كانت النسبة ٠/٢٤.

٢-٤-٥. إيجاد معدل نسبة التنوع

في هذه الطريقة ، نقسم كلّ عينة من العينات المتكونة من ٣٠٠٠ كلمة إلى ستة أجزاء متساوية الطول ، بحيث أنّ كلّ جزء يحتوي على ٥٠٠ كلمة ، ثم بعد ذلك نحصي الكلمات المتنوعة المتبقية من كل جدول مشطوب بالخط الأسود ونجمع الكلمات كلّ جزء من هذه الأجزاء الستة ثم نقسمه على الخمسة ، لأنّ كلّ جزء يحتوي على خمسة جداول ، ثم نجمع الأجزاء الستة ونقسمها على الستة ، وهي عدد أجزاء كلّ من العينات. فالحاصل يكون معدل نسبة التنوع في المفردات.

جدول رقم (١) نموذج جدول التفريغ

قياس جونسون لاختبار تنوع المفردات في النص

مصدر النص : البيان والتبيين للجاحظ

ونبدأ	على	اسم	الله	بذكر	مذهب	الشعبوية	ومن	يتحلى	باسم
التسوية	وإمطاعنهم	على	خطباء	العرب	بأخذ	المحصرة	عند	مناقلة	الكلام
ومساجلة	الخصوم	بالموزون	والمقفى	والمشور	الذي	لم	يقف	وبالأرجاز	عند
المتح	وعند	مجااةة	الخصم	وساعة	المشاولة	وفي	نفس	المجادلة	والمحاورة
وكذلك	الأسجاع	عند	المنافرة	والمفاخرة	واستعمال	المنثور	في	خطب	الحمالة
وفي	مقامات	الصلح	وسل	السخيمة	والقول	عند	المعاقةة	والمعاقةة	وترك

اللفظ	يجري	على	سجيته	وعلى	سلامته	حتى	يخرج	على	غير
صنعة	ولا	اجتلاب	تأليف	ولا	التماس	قافية	ولا	تكلف	لوزن
مع	الذي	عابوا	من	الإشارة	بالعصي	والالتكاء	على	أطراف	القيسي
وخدوجه	الأرض	بها	واعتمادها	عليها	إذا	اسحفرت	في	كلامها	وافتنّت

٥-٤-٣. إيجاد منحني تناقص نسبة التنوع

في هذه الطريقة، يتم تقسيم العينة إلى ستة أجزاء متساوية الطول ثم حساب النسبة في الجزء الأول، وذلك بحصر الكلمات المتنوعة وقسمة عددها على المجموع الكلي لكلمات الجزء، ومن ثم حصر الكلمات المتنوعة في الجزء الثاني من النص دون أن ندخل فيها أي كلمة سبق ورودها في الجزء الأول ثم تقسيمها على المجموع الكلي لكلمات الجزء الثاني فقط، وهكذا في بقية الأجزاء الأربعة الباقية.

٥-٤-٤. إيجاد منحني تراكم نسبة التنوع

في هذه الطريقة أيضاً، يتم تقسيم العينة إلى أجزاء متساوية الطول ثم إيجاد النسبة بين الكلمات المتنوعة والمجموع الكلي لكلمات الجزء الأول. وأما بالنسبة إلى الجزء الثاني فإنه يتم إيجاد النسبة بين الكلمات المتنوعة والتي لم توجد في الجزء الأول وبين المجموع الكلي لكلمات الجزء الثاني ثم نقوم بجمع الكلمات المتنوعة في الجزء الأول إلى عدد الكلمات المتنوعة في الجزء الثاني ثم نقسم حاصل جمعها على المجموع الكلي للكلمات في الجزئين معاً، وهكذا نسير في بقية الأجزاء حتى يتم النص وتنتهي الأجزاء فنحصل على منحني تراكم نسبة التنوع في المفردات. وبعد إتمام عمليات حساب نسبة التنوع وتطبيق الأرقام المستخرجة من الجداول والعينات على طرق المحاسبة، يتم استخراج النتائج. ونحن سجلنا نتائج القياس لكل هؤلاء الكتاب الثلاثة في جداول ومنحنيات ليتبين الفرق وتوضح الصورة لمن يريد أن يعلمها وأدرجنا كل هذه النتائج والجداول والمنحنيات في الصفحات الآتية.

٥-٥. نتيجة تطبيق المعايير على العينات

بعد الانتهاء من كل هذه العمليات التي طبّقناها على طرق حساب نسبة التنوع الأربعة، الآن نسجل في مجموعة الجداول والرسوم البيانية الآتية النتائج التي توصلنا إليها من خلال استخدام هذا المقياس لفحص النماذج المختارة من كتابات ابن المقفع و الجاحظ وأبي حيان التوحيدي.

فنرى أنّ النسبة الكلية للتنوع عند الجاحظ تحتلّ المرتبة الأولى، ومن بعد ذلك يتلوه ابن المقفع ثم أبو حيان التوحيدي. ويؤيد ما حصلنا عليه في النسبة الكلية للتنوع، معدل نسبة التنوع التي يسمّيها البعض القيمة الوسيطة لنسبة التنوع فنحصل هنا كذلك على نفس النتيجة، بحيث أنّ الجاحظ يحتاز المرتبة الأولى ثمّ ابن المقفع وبعده أبو حيان التوحيدي. هذا في حين أنّ النسبة بين ابن

المففع وبين أبي حيان التوحيدي لا تختلف كثيراً وتكاد أن تكون متساوية، في حين أنّ نسبة الجاحظ هي أيضاً تقترب من نسبة ابن المقفع وأبي حيان بفارق ملحوظ وإن كانت تحتاز المرتبة الأولى وتعلو بفارق ثلاثة بالمائة. هذا ما تبين بوضوح من خلال الأرقام والنسب الموجودة في جدول رقم (١) و جدول رقم (٢).

وأما نتائج الطريقة الثالثة فهي أيضاً مؤشر آخر على صحّة نتائج الطريقتين الأولى والثاني؛ إذ يدلّ بوضوح على كون الجاحظ في المرتبة الأولى ثم ابن المقفع وبعد ذلك أبي حيان، وإن كان تفسير هذه النتائج في الجدول الثالث يحتاج إلى تحليل وبيان سنقوم به عند بيان تحليل النتائج. والطريقة الرابعة كذلك تظهر لنا تفوق الجاحظ ثم ابن المقفع ومن بعده أبي حيان. وهذا ما نشاهده من خلال أرقام نسبة تنوع المفردات في النسبة التراكمية وكذلك في نسبة تناقص التنوع في الجدولين رقم (٣) و(٤) وكذلك من خلال مشاهدة الشكلين (٢) و(١). وسنأتي بالجداول والمنحنيات في الصفحات الآتية بشكل تفصيلي لتتضح الصورة أكثر فأكثر.

جدول (١)

النسبة الكلية في العينات الثلاث

الكاتب	النسبة الكلية للتنوع
ابن المقفع	٠/٢٤
الجاحظ	٠/٢٧
أبو حيان التوحيدي	٠/٢٣

جدول (٢)

نسبة التنوع باستخدام معدل نسبة التنوع في العينات الثلاث

كلّ عينة مقسمة إلى ٣٠ جزءاً في ٦ مجموعات ويتكون المجموعة من ٥٠٠ كلمة)

معدل	قيم نسب التنوع في أجزاء النص						
	٦	٥	٤	٣	٢	١	
نسبة معادل نسبة التنوع							
التنوع ١٠/	١/٦٦	١/٧٢	١/٧١	١/٧١	١/٦٧	٧	ابن المقفع ٠/٣
٧٤ ٠/	١/٧٦	١/٧٤	١/٧٣	١/٧٦	١/٦٨	٧	الجاحظ ٠/٥
٦٩ ٠/	١/٧٣	١/٧٦	١/٧٠	١/٦٦	١/٥٨	٧	أبو حيان التوحيدي ٠/٠

جدول (٣)

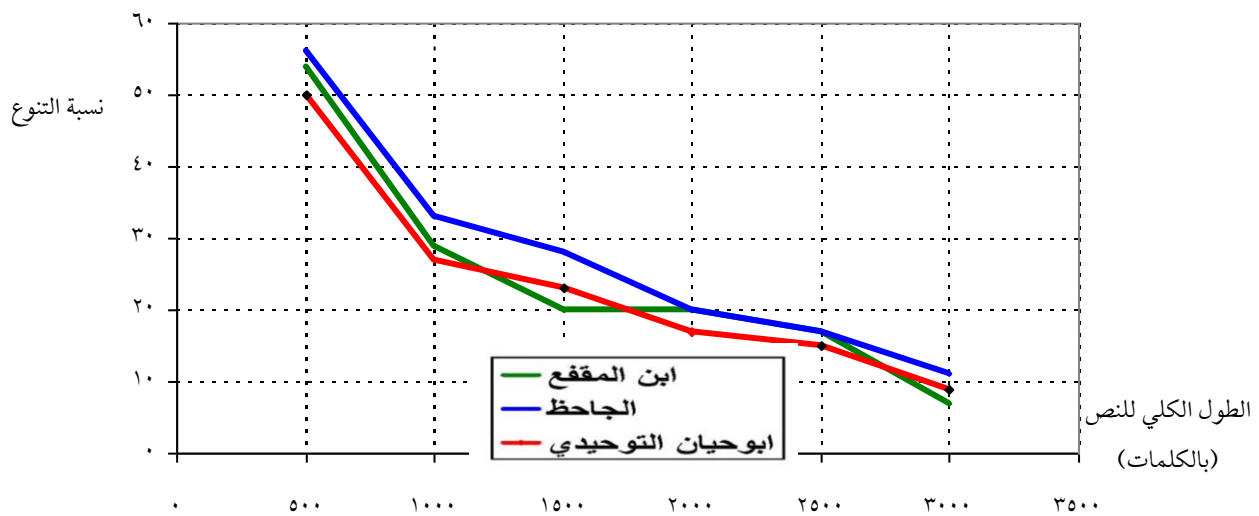
نسبة تناقص التنوع

(كلّ عينة مقسمة إلى ستة أجزاء كلّ جزء يتكوّن من ٥٠٠ كلمة)

نسبة تناقص التنوع بين الأجزاء						الكاتب
٦	٥	٤	٣	٢	١	
٠.١٧	٠.١٧	٠.٢٠	٠.٢٠	٠.٢٩	٠.٥٤	ابن المقفع
٠.١١	٠.١٧	٠.٢٠	٠.٢٨	٠.٣٣	٠.٥٦	الجاحظ
٠.٠٩	٠.١٥	٠.١٧	٠.٢٣	٠.٢٧	٠.٥٠	أبو حيان التوحيدي

شكل (١)

منحنى نسبة التناقص في العينات الثلاث



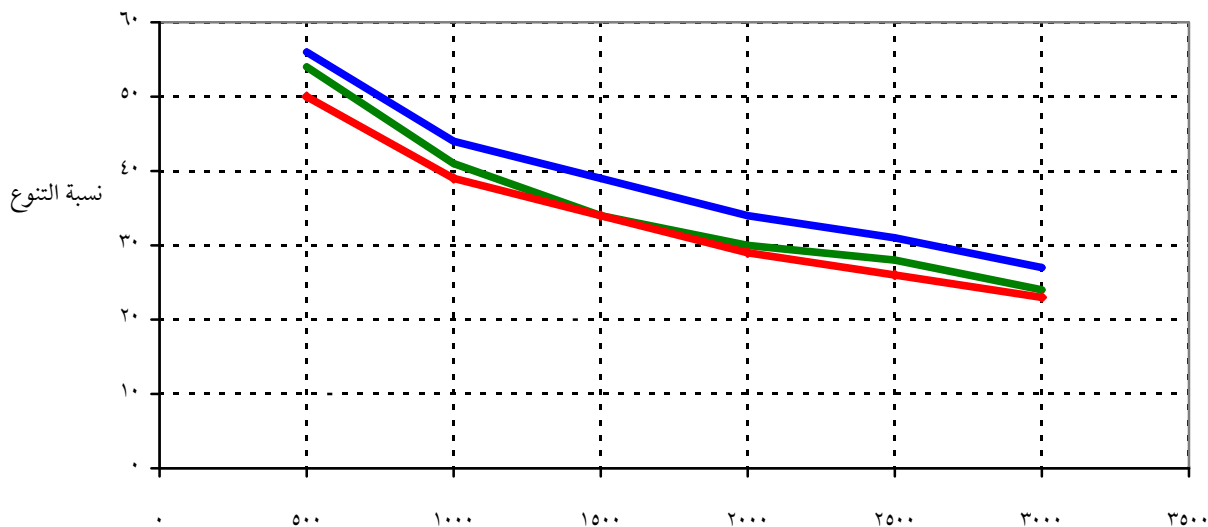
جدول (٤)

النسبة التراكمية للتنوع في العينات الثلاث
(كل عينة مقسمة إلى ستة أجزاء والجزء يتكون من ٥٠٠ كلمة)

النسبة التراكمية للتنوع بين الأجزاء						الكاتب
٦	٥	٤	٣	٢	١	
٠/٢٤	٠/٢٨	٠/٣٠	٠/٣٤	٠/٤١	٥٤	ابن المقفع
٠/٢٧	٠/٣١	٠/٣٤	٠/٣٩	٠/٤٤	٥٤	الجاحظ
٠/٢٣	٠/٢٦	٠/٢٩	٠/٣٤	٠/٣٩	٥٠	أبوحيان التوحيدي

شكل (٢)

منحنى نسبة التراكم في العينات الثلاث



٥-٦. تحليل المعطيات

فلاحظنا أنّ قياس خاصية التنوع في الطريقة الأولى، وهو قياس النسبة الكلية للتنوع في العينات الثلاث يرشدنا إلى أنّ الجاحظ يكسب المرتبة الأولى من جهة كثرة تنوع مفرداته وبالنتيجة أسلوبه أكثر تنوعاً بالنسبة إلى ابن المقفع وأبي حيان التوحيدي. في حين أنّ ابن المقفع وأبا حيان التوحيدي متساويان في نسبة التنوع تقريباً ويفارق ضئيل جداً نرى فيه أنّ تنوع ابن المقفع تفوق تنوع أبي حيان التوحيدي. ومثل هذه النتيجة حصلنا عليها في الطريقة الثانية من طرق حساب نسبة التنوع، وهي طريقة معدل نسبة

التنوع أو ما يسمّى بالقيمة الوسيطة لنسبة التنوع. فمعدل نسبة التنوع عند الجاحظ يتمثل في ٠/٧٤ في حين أنّ هذه النسبة عند ابن المقفع تكون ٠/٧٠ وعند أبي حيان التوحيدي تكون ٠/٦٩. فيما يلي نماذج من كتابات هؤلاء الكتاب الثلاثة:

نموذج من أسلوب ابن المقفع:

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف وهو رأس البراهمة: إضرب لي مثلاً لمتحابين يقطع بينهما الكذب المحتال حتى يحمّلها على العداوة والبغضاء. قال بيدبا: إذا ابتلى المتحابان بأن يدخل بينهما الكذب المحتال، لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا وأفة المودة النميمة. ومن أمثال ذلك أنّه كان بأرض دستاوند رجل شيخ له ثلاثة بنين فلما بلغوا أشدهم أسرفوا في مال أبيهم ولم يكونوا احترفا حرفة يكسبون لأنفسهم بها خيراً فلامهم أبومهم ووعظهم على سوء فعلهم وكان من قوله لهم: يا بنيّ إنّ صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور لن يدركها إلاّ بأربعة أشياء أمّا الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق والمنزلة في الناس والزاد للأخرة. وأمّا الاربعة التي يحتاج إليها في درك هذه الثلاثة فاكْتساب المال في أحسن وجوه يكون ثمّ حسن القيام على ما اكتسب منه ثمّ استثماره ثمّ إنفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الأهل والإخوان فيعود عليه نفعه في الآخرة (بلا تا، ص ٧١).

نموذج من أسلوب الجاحظ:

ونبدأ على اسم الله بذكر مذهب الشعوبية ومن يتحلّى باسم التسوية ويمطاعنهم على خطباء العرب بأخذ المخصرة عند مناقلة الكلام. ومساجلة الخصوم بالموزون والمقفى، والمنثور الذي لم يقف، وبالإرجاز عند المتح، وعند مجاثاة الخصم، وساعة المشاورة، وفي نفس المجادلة والمحاورة. وكذلك الأسجاع عند المنافرة والمفاخرة، وإستعمال المنثور في خطب الحمالة، وفي مقامات الصلح وسل السخيمة، والقول عند المعاقدة والمعاهدة، وترك اللفظ يجري على سجيته وعلى سلامته، حتى يخرج على غير صنعة ولا اجتلاب تأليف، ولا التماس قافية، ولا تكلف لوزن. مع الذي عابوا من الإشارة بالعصي، والاتكاء على أطراف القسي، وخدّ وجه الأرض بها، وإعتمادها عليها إذا اسحفرت في كلامها، وافتنّت يوم الحفل في مذهبها، ولزومهم العمائم في أيام الجموع، وأخذ المخاصر في كل حال، وجلوستها في خطب التّكاح، وقيامها في خطب الصلح وكل ما دخل في باب الحمالة، وأكذّ شأن المحالفة، وحقق حرمة المجاورة، وخطبهم على رواحلهم في المواسم العظام، والمجامع الكبار. والتماسح بالكفّ، والتحاليف على النار، والتعاقد على الملح، وأخذ العهد المؤكّد واليمين الغموس مثل قولهم: ما سرى نجم وهبّت ريح، وبلّ بحر صوفة، وخالفت جرّة درة (بلا تا، ج ٣، ص ٦).

نموذج من أسلوب أبي حيان التوحيدي:

وقال- أدام الله دولته- ليلة: أحبّ أن أسمع كلاماً في مراتب النّظم والنّثر، وإلى أيّ حدّ ينتهيان، وعلى أيّ شكل يتفقان، وأيّهما أجمع للفائدة، وأرجع بالعائدة، وأدخل في الصّناعة، وأولى بالبراعة؟؟ فكان الجواب: إنّ الكلام على الكلام صعب. قال: ولم؟ قلت: لأنّ الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحسّ ممكن، وفضاء هذا متنسّع، والمجال فيه مختلف. فأما الكلام على الكلام فإنّه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه، ولهذا شقّ التّحو وما أشبه التّحو من المنطق، وكذلك النّثر والشّعر وعلى ذلك.

وقد قال الناس في هذين الفئتين ضرورياً من القول لم يبعدوا فيها من الوصف الحسن، والإنصاف المحمود، والتّنافس المقبول، إلّا ما خالطه من التعصّب والمحك، لأنّ صاحب هذين الخلقين لا يخلو من بعض المكابرة والمغالطة ويقدر ذلك يصير له مدخل فيما يراد تحقيقه من بيان الحجة أو قصورها عما يرام من البلوغ بها، وهذه آفة معترضة في أمور الدّين والدّنيا، ولا مطمع في زوالها، لأنّها ناشئة من الطّبائع المختلفة، والعادات السيّئة، لكنّي مع هذه الشّوكة الحادة، والخطّة الكادّة، أقول ما وعيته عن أرباب هذا الشّأن، والمنتمين لهذا الفنّ، وإنّ عنّ شيء يكون شكلاً لذلك وصلته به تكميلاً للشّرح، واستيعاباً للباب، وصمداً للغاية، وأخذاً بالحياطة، وإن كان المنتهى منه غير مطمّوع فيه، ولا موصول إليه، والله المعين (٢٠٠٦م، ص ٢٤).

ونستنتج مما سبق بأنّ أسلوب الجاحظ أعلى الأساليب الثلاثة تنوعاً، فإليه أسلوب ابن المقفع ثم بفاصل ضئيل جداً إن لم نقل بالتساوي، أسلوب أبي حيان التوحيدي. هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى نتائج الطريقتين الثالث والرابع أيضاً يؤيّد ما

أرشدنا إليه الطريقة الأولى والثانية، لأن نتائج الطريقة الثالثة والرابعة تظهر لنا بأن الجاحظ ذو نسبة تراكم أعلى ونسبة تناقص متوسطة بالنسبة إلى ابن المقفع وأبي حيان التوحيدي، في حين أنّ أبا حيان التوحيدي ذو نسبة تراكم أقلّ ونسبة تناقص أعلى بالنسبة إلى الجاحظ وابن المقفع وهذا ما يدلّ عليه الجدول (٣) و(٤) والشكلان رقم (١) و(٢).

وقد لاحظنا أنّ فارق نسبة التنوع بين ابن المقفع وأبي حيان ليس كبيراً، بل يكاد أن يكون متساوياً؛ في حين أنّه يفصل بين الكاتبين وبين الجاحظ فارق، وإن لم يكن كبيراً إلا أنّه فارق ملحوظ مع أخذ هذه الملاحظة بعين الاعتبار. إنّ كلّ من هؤلاء الكتاب الثلاثة الذين تطرّقنا إليهم يعدّون من كبار الكتاب بل من أكبر كتّاب العصر العباسي. فالفارق وإن كان قليلاً يلاحظ ويؤخذ بعين الاعتبار.

فعبّر تحليل هذه النتائج، نقول إنّ العوامل الرئيسة في هذا، هي البيئة العلمية التي عاشها هؤلاء الأدباء وثقافتهم العلمية ومستوى دراساتهم. فالجاحظ ذو أصالة عربية. فولد بالبصرة ونشأ بها، وهي آنذاك مهد العلم ومنتدى الأدب. فأكبّ على الدرس وجدّ في التحصيل وأخذ عن جهاذة اللغة والرواية كالأصمعي وأبي عبيدة وصاحب فئته من كتّاب العرب و مترجمي الفرس فنقل عنهم واستفاد منهم وأغرم بالمطالعة إغراماً شديداً فلم يقع في يده كتاب إلاّ استتم قراءته واستوعب مادّته (الزيات، ١٤٢٥هـ.ق، ص ١٦٧ - ١٦٦). قد كان الجاحظ مولعاً بتتبع العلماء والرواة يعرف أماكنهم ومجالسهم، يسمع منهم ويحفظ ويشهد أحوالهم واهتماماتهم فهو يعترف في أقواله بهذا الأمر (الجاحظ، ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٢٣). فهذا يدلّنا على شغفه الدائم بمتابعة هؤلاء الرواة والتعرف على جديدهم وما وقفوا عليه من الأخبار إمّا بطريق السماع وإمّا عن طريق الكتب التي وصلت إليه (الحموي، ١٩٩١م، ج ٤، ص ٤٧٤).

هذه إضافة إلى ما قام به من جهود فردية في تثقيف نفسه وتوسيع معارفها وعلومها الأدبية من خلال الكتب التي كان يقرأها، فإنّه كان يلجأ إلى دكاكين الوراقين. وأغلب الظن أنّ شغف الجاحظ باكتساب المعرفة قد أغراه بالاستزادة من هذا الزاد فقد وجد في عالم الكتب الرحيب ما يشبع ميوله ويرضي فضوله؛ وقد روى ابن خلكان أنّ ما دونّه أبو عمرو عن الأعراب الفصحاء ملأ بيتاً له إلى ما يقرب من السقف (الدقاق، ٢٠٠٤م، ص ١٣٣). نقل لنا التاريخ صورة عن حياته العلمية والأدبية، حيث نقل عن أبي هفان: «لم أر قط ولا سمعت من أحبّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنّه لم يقع بيده كتاب قط إلّا استوفى قراءته، كائناً ما كان، حتى إنّه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر» (الفاخوري، ١٣٧٧هـ.ش، ص ٥٦٣). وترك آثاراً وكتباً كثيرة حتى قالوا إنّه ترك ما ينيف على مئة وسبعين كتاباً وقد ساعده على كثرة التأليف امتداد عمره وانصراف العظماء عن استخدامه في قصورهم ودواوينهم لدمامة خلقه (المصدر نفسه، ص ٥٦٧).

فهو يرتاد إلى كل مكان من شأنه أن يحصل منه على المعرفة «فقد كان يختلف إلى المرید يأخذ عن فصحاء العرب اللغة وبعض ما ينشدونه من الأشعار» (ضيف، ٢٠٠١م، ص ٥٨٧). والمرید آنذاك كانت من الأسواق التي تقصد بغرض التجارة والبيع والشراء وكان يفد إليه كثير من الشعراء والرجاز، إضافة إلى أنّها كانت سوقاً أدبية لا تقلّ عمّا كانت عليه سوق عكاظ، فيواجه الفصحاء البداية ويحدثهم. ولعلّه أفاد من المرید في اكتسابه القدرة على التعبير والطلاقة في اللسان، فضلاً عن امتلاكه الكثير من

الطرائف والمعارف والأشعار والأخبار (الدقاق، ٢٠٠٤م، ص ١٣١). لذا تبين لنا تأثير بيئات متعددة أسهمت في إغناء مواهبه وتكوين شخصية الجاحظ الثقافية والأدبية. فتربى في أحضان البيئة العربية وتعلم وتدارس بهذه اللغة وكانت مطالعته ودراساته كلّها تدور في هذه البيئة و بهذه اللغة.

وأما ابن المقفع فقد ولد سنة ١٠٧ هجرية، في جور (كور) في خوزستان، و«هو من فارس وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفين الأوليين من بني العباس ثم كتب له واختص به» (ابن خلكان، ١٨٣٥م، ج ١، ص ١٢٥). عني والده داؤديه بتأديب ابنه وتعليمه منذ كان في بلاد فارس كما كان من حسن حظّه أنّه نزل البصرة مركز الثقافة العربية بما فيها من علماء اللغة والإعراب والرواة والمدارس وكان بها سوق المربد الشهير الذي مرّ بنا ذكره في السطور المنصرمة، فكانت الظروف مواتية لـ«روزبه» ليتعلّم اللغتين العربية والفارسية. فأما العربية لأنّه مولى لبني الأهتم ودفع دعفاً إلى أبي الجاموس ثور بن يزيد وكان من أوثق الأعراب الذين وفدوا على البصرة للتعليم، فكان يجلس إليه ويتعلّم منه حتى صحّت سليلته واستقامت عربيته وتمكن منها أيما تمكن وهكذا نشأ ابن المقفع «روزبه» حريصاً على مخالطة الأعراب والدراسة على أيديهم والاستماع إلى المدرسين في مساجد البصرة والمشاركة في مجتمعات المربد (الثبيتي، ٢٠٠٦م، ص ١٣). فقد قال عنه طه حسين: «فهو زعيم الكتاب الفرس والعرب» (١٩٣٦م، ص ٤٠)، فإنّه وإن استطاع في حياته الجمع بين ثقافتَي العرب والعجم «لم يصدر في كتابة ما كتب إلّا بعد أن عاش أمداً طويلاً في بيئة البصرة والمربد وأخذ الفصاحة من آل الأهتم الذين كان منهم خالد بن صفوان، وشبيب بن شبة وكان على صلة وثيقة ببعض أعلام الفصاحة كأبي الجاموس ثور بن يزيد» (كمال زكي، ١٩٦١م، ص ١١٢).

لكنّه مع كلّ ذلك لا تصل مرتبته إلى الجاحظ، لأنّ ابن المقفع كان يتدارس ويتعامل مع أدبين العربي والفارسي في زمن واحد، وهذا يختلف عن أديب آخر كالجاحظ الذي يتعامل ويتحضر في أدب واحد وهو الأدب العربي فتكون مقدرته أكثر وأضف إلى ذلك أنّ ابن المقفع لم يعيش طويلاً فإنّه قتل في مقتبل العمر سنة ١٤٣ للهجرة (دلارا، ١٩٥٦م، ص ٣٨). وكان أدبه أدباً حكماً، فإنّه كان كاتباً اجتماعياً أكثر ما نجد فيه ادبياً منشئاً ذا أسلوب متميّز - كما يبدو ذلك جلياً في كليله ودمنة - فاللفظ لديه وسيلة إلى المعنى، ولذلك يجب أن يكون سهلاً مأنوساً لإيصال الفكرة (الدقاق، ٢٠٠٤م، ص ١١٦). ومع ذلك، فإنّ ما عاش من حياته، قضى أكثره في الدواوين، حيث كتب لابن هبيرة وابن الجوّاري وعيسى بن علي من أمراء الدولة؛ وكلّ ذلك يعني أنّ ابن المقفع امتلك ناصية العبارة العربية وأوتي موهبة البلاغة (المصدر نفسه، ص ١١١). وأجمع معاصروه على أنّه كان آية في البلاغة وجعلوه على رأس البلغاء العشرة الذين سمّوهم في هذا العصر (ابن النديم، ١٣٤٨هـ، ص ١٤٢). لكنّ دراسته للغة العربية وكتبها لم ترتق إلى ما وصل إليه الجاحظ، لأنّ الأخير إضافة إلى ما تعلّمه من العلماء والرواة في مساجد البصرة والأعراب الفصحاء في المربد، تتمّع بالعمر الطويل (٢٥٥ - ١٦٣هـ) وعمله في مهنة الوراق ومراجعة الكتب ودراساتها في حين العمل منحه المقدرة العالية على ممارسة اللغة والأدب ومفرداتها.

وأما بالنسبة إلى أبي حيان التوحيدي فإنّه أحد الأدباء الذين امتازوا بسعة الثقافة وحده الذكاء. فولد من أبوين فقيرين وكان والده - فيما يقال - يبيع التمر أو نوعاً منه يعرف بالتوحيد فعرف بالتوحيدي (الدقاق، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٢). فامتحن حرفة الوراق في شبابه لسدّ حاجاته؛ ورغم أنّها أتاحت لهذا الوراق الشابّ التزوّد بكمّ هائل من المعرفة جعلت منه مثقفاً موسوعياً إلّا أنّها لم ترض طموحه فكانت الوراق منبع ثروة لغوية وأخبارية ضخمة وقاعدة فكرية وثقافية ثرة. وكان لكلّ ذلك - كما كان للجاحظ - أمضى الأثر في تكوين شخصية أبي حيان وإغنائها على صعيد الفكر والأدب (المصدر نفسه، ص ٢٣٦)، وكانت بيئة أبي حيان في

بغداد حافلة بالعلماء مواراة بالحركة الدائبة، تعمر مساجدها بحلقات الدرس فتلمذ على يد عدد من كبار شيوخ عصره كأبي سعيد السيرافي وعلى بن عيسى الرماني ويحيى بن عدي الفيلسوف النصراني وأبي سليمان السجستاني المعروف بالمنطقي واتصل بكبار أدباء وكتّاب عصره أمثال ابن العميد والصاحب بن عباد وغيرهما (المصدر نفسه، ص ٢٣٢). فإنه أراد أن يستخدم أسلوب الجاحظ في كتاباته، ولذا لقب البعض أسلوبه بالجاحظي، لأن أسلوبه يتراوح بين الرقة والجفاف تبعاً للموضوع الذي يودّ معالجته، حيث يبدو رقيقاً مناسباً عند معالجته مواضيع إنسانية ورصيناً جافاً في المسائل التي يغلب عليها الطابع الفلسفي والمنطقي، وإن سار على خطى الجاحظ في الإرسال والتقطيع إلا أنه لم يكن يملك رشاقته وخفة ظله. وعلى الرغم من أن بعضهم أطلق عليه لقب الجاحظ الثاني إلا أن موضوعاته لم تكن من بنات الحياة التي يهواها الناس، بل كان ذا منهج منطقي موسوعي فلسفي وهذا ما كان يبعده عن طبقات المجتمع إلا النخبة من المثقفين (الصباح، ١٩٩٠م، ص ٥٠).

إنّ أبا حيان كاتب وأديب لفت الفلسفة نتاجه وتداخلت مع فنه وكان هذا معلماً بارزاً من معالم النثر العربي في العصر العباسي وبخاصة في أبان القرن الرابع حين ازداد حظ الأدب من الفكر وغلب الذهن على العاطفة (الدقاق، ٢٠٠٤م، ص ٢٣٨)، وقد فطن ياقوت الحموي إلى هذه الظاهرة التي تجلّت في نتاج أبي حيان حين وسمه: «إنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة» (١٩٩١م، ج ١٥، ص ٥). لكنّه مع هذه الثقافة العلمية واختلاطه بالعلماء والبيئة العلمية فإنّ مستوى كتاباته لم يرتق إلى تلك المرتبة التي نالها الجاحظ في تنوع العبارة وخفتها. في حين أننا نرى وفق الإحصائيات التي توصلنا إليها في هذه الدراسة أنّ مستوى كتاباته في تنوع مفرداته يقترب من أسلوب ابن المقفع، لأنّ ابن المقفع وإن كان فارسياً إلا أنه - وكما ذكرنا آنفاً - فقد تعلّم الكثير من العلوم والآداب والفنون العربية وتبرّع فيه.

مرّد ذلك أنّ أبا حيان التوحيدي بسبب أدبه الحكمي والفلسفي والذي يشترك فيه ابن المقفع، كان اهتمامه الأكبر بإيصال الحكمة و الفكرة المؤسسة لها من خلال كلمات وعبارات سهلة وواضحة. وهذا ما يخالف التنوع الكثير إلى حدّ ما. وكما ذكرنا آنفاً أنّ أدب ابن المقفع كان حكماً وكاتباً اجتماعياً، فاللفظ لديه وسيلة إلى المعنى ولذلك يجب أن يكون سهلاً مأنوساً لإيصال الفكرة.

هذا، ويجب القول إن الوصول إلى هذه النتيجة في موازنة تنوع المفردات بين أساليب هؤلاء الكتّاب الكبار الثلاثة لا تعني قدحاً ولا مدحاً بقدر ما تعني التشخيص والتوصيف. ويجب الانتباه إلى هذه النقطة، وهي أنّنا بحثنا هنا خاصية واحدة من خواص أسلوب هؤلاء الأدباء كما مرّ ذكره. فنقول إنّ هذه الخاصية ليست خاصة وحيدة أو حاسمة في مجال التمييز بين أساليب هؤلاء الكتّاب الثلاثة وتجب دراسة سائر الخواص الأسلوبية، لكي يمكن الحكم القطعي بأنّ أيّ الكتّاب أحسن وأقوى من الآخر من الناحية الأدبية.

الخاتمة

وصلنا بعد الذي قدّمناه من البحث والاستقصاء إلى أنّ أسلوب الجاحظ عند صياغة النصّ أكثر تنوعاً في المفردات، بالنسبة إلى ابن المقفع وأبي حيان التوحيدي وأنّه يوجد فرق قليل بين أسلوب الكاتبين الآخرين. يلاحظ هذا من خلال المعطيات والجداول والرسوم البيانية.

إذا دققنا النظر للبحث عن عوامل هذا الاختلاف رأينا أنّ البيئات العلمية التي عاشها هؤلاء الكتاب كانت مركز العلم والثقافة. فهم متساوون في تأثير هذا العامل على ثقافتهم العلمية ثمّ العلماء الذين تلمذوا على أيديهم كانوا من جهاذة زمنهم وكان لهؤلاء الكتاب جهود فردية كثيرة في تثقيف أنفسهم، فلذلك يجب أن نبحت عن السبب في ما بقي من العوامل.

في الحقيقة أنّ ابن المقفع كان فارسي الأصل. وفي رأينا أنّ هذا أثر في انخفاض تنوع مفرداته بالنسبة إلى الجاحظ الذي كان ذا أصالة عربية. يؤيد هذا الرأي أنّ ابن المقفع لم يصدر آثاره مدّة طويلة حتّى اكتملت فصاحته؛ من جانب آخر، كان ابن المقفع يدرس الأدبين الفارسي والعربي، في حين أنّ الجاحظ كان يدرس الأدب العربي فحسب ويمضي كلّ وقته فيها. في رأينا أنّ لهذا الأمر أثره في كثرة تنوع مفردات الجاحظ بالنسبة إلى ابن المقفع؛ إضافة إلى هذا أنّ ابن المقفع لم يعيش طويلاً على عكس الجاحظ. ومن الواضح أنّ لمرّ الزمن أثره في تثقيف الأديب، وربّما يكون أحد ملامح هذا التأثير ازدياد الثروة اللغوية للجاحظ بالنسبة إلى ابن المقفع. ثمّ إنّ ابن المقفع كان كاتباً اجتماعياً وكان يهتمّ بالمعنى أكثر من اللفظ وكان يسعى أن يكون كلامه سهلاً مانوساً وأحد طرق الوصول لهذا الأمر هو الإتيان بالكلمات السهلة المتكررة.

وأما بالنسبة إلى أبي حيان فنقول إنّ نشأ في البيئة العلمية التي عاشها الجاحظ وكان يسعى أن يكون أسلوبه شبيهاً بأسلوبه. مع ذلك لم يرتق تنوع مفرداته عند صياغة النصوص إلى المرتبة التي نالها الجاحظ. لعلّ السبب يرجع إلى أنّه غلب على آثاره الطابع الفلسفي والمنطقي فكان اللفظ لديه وسيلة لإيصال المعنى وكان يهتمّ بالمعنى أكثر من اللفظ. إنّ لهذا الأمر أثر في انخفاض تنوع مفرداته بالنسبة إلى الجاحظ. أضف إلى هذا، أنّ الجاحظ كان أكثر رشاقة وأخف ظلاً بالنسبة إلى أبي حيان. اختلاف خاصية تنوع المفردات بين ابن المقفع وأبي حيان قليل جداً. فلذا لا يؤخذ بعين الاعتبار ولا يدفع الباحث إلى الكشف والبحث عن أسباب هذا الفرق.

في النهاية، لا بدّ من القول إن خاصية تنوع المفردات أحد الملامح الأسلوبية فلا يمكن أن نكتفي بها لتفضيل أحد هؤلاء الأدباء على البعض، بل لا بدّ من دراسة عوامل أخرى في هذا المجال، مثل مراعاة مقتضى حال المخاطب في استخدام هذه الكلمات وفصاحتها وغيرها من الظواهر الأدبية والبلاغية.



المصادر والمراجع

أ- العربية

١. ابن خلكان. (١٨٣٥ م). *وفيات الأعيان*. (طبعة قديمه في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت). مخطوط بالزركوغراف.
٢. ابن المقفع، عبد الله. (بلاتا). *كليته ودمنه*. دمشق: طبع دار كرم.
٣. ابن النديم. (١٣٤٨ هـ.ق). *الفهرست*. القاهرة: الرحمانية.
٤. التوحيدي، أبو حيان. (٢٠٠٦ م). *الإمتاع والمؤانسة*. بيروت: المكتبة العصرية.
٥. الشيبتي، نويرة بنت ناصر. (٢٠٠٦ م). *تنوع الأداء البلاغي في أدب ابن المقفع*. رسالة ماجستير. إشراف دكتور محمود صيام. جامعة أم القرى.

۶. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (بلاغات). **البيان والتبيين**. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
۷. حركات، مصطفى. (۱۹۹۸م). **اللسانيات العامة وقضايا العربية**. صيدا - بيروت: المكتبة العصرية.
۸. حسين، طه. (۱۹۳۶م). **من حديث الشعر والنثر**. القاهرة: الصاوي.
۹. الحموي ياقوت. (۱۹۹۱م). **معجم الأديب**. القاهرة: دار المأمون.
۱۰. خليل، حلمي. (۱۹۸۰م). **الكلمة دراسة لغوية ومعجمية**. الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
۱۱. الدقاق، عمر. (۲۰۰۴م). **أعلام النثر الفني في العصر العباسي**. حلب: دار القلم العربي.
۱۲. دلارا، سينغ سندها. (۱۹۵۶م). **ابن المقفع حياته آثاره**. رسالة ماجستير. إشراف الدكتور أنيس فريجة. الجامعة الأميركية ببيروت.
۱۳. الزياد، أحمد حسن. (۱۴۲۵هـ. ق). **تاريخ الأدب العربي**. (ط ۸). بيروت: دار المعرفة.
۱۴. الصباح، محمد علي. (۱۹۹۰م). **أبو حيان التوحيدي فيلسوف الأديب وأديب الفلاسفة**. بيروت: دار الكتب العلمية.
۱۵. ضيف، شوقي. (۲۰۰۱م). **تاريخ الأدب العربي؛ العصر العباسي**. (ط ۲). القاهرة: دار المعارف.
۱۶. الفاخوري، حنا. (۱۳۷۷هـ. ش). **تاريخ الأدب العربي**. طهران: توس.
۱۷. كمال زكي، أحمد. (۱۹۶۱م). **الحياة الأدبية في البصرة**. دمشق: دار الفكر.
۱۸. المسدي، عبد السلام. (۱۹۸۲م). **الأسلوبية والأسلوب**. (ط ۲). تونس: الدار العربية للكتاب.
۱۹. مصلوح، سعد. (۱۹۹۳م). **في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية**. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
۲۰. _____ (۱۹۸۱م). «مقالة قياس خاصة تنوع المفردات في الأسلوب». **مجلة كلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز**. عدد النشر ۱. الرقم ۱. صص ۱۷۰ - ۱۴۹.

ب - الفارسية

۲۱. اناری بزچلوئی، ابراهیم؛ و احمد امیدوار. (۱۳۹۱هـ. ش). «پژوهشی در تنوع واژگان شعری؛ مطالعه موردی در اشعار رهی معیری، هوشنگ ابتهاج و فریدون مشیری». **مجلة پژوهشهای نقد ادبی و سبک شناسی**. س ۳. ش ۱۰. صص ۳۱ - ۵۸.
۲۲. بوندشهریاری، علی أصغر؛ و طاهره سیدرضایی. (۱۳۹۳هـ. ش). «مقایسه شعر فروغ فرخزاد، فرزانه خجندی و خالد فروغ از منظر نظریه جانسون». **مجلة پژوهش ادبیات معاصر جهان**. ش ۷۰. صص ۶۲ - ۴۵.
۲۳. وحیدیان کامیار، تقی. (۱۳۸۶هـ. ش). «اقسام کلمه». **مجلة ادبیات فارسی (دانشگاه آزاد مشهد)**. ش ۱۵ و ۱۶. صص ۲۰ - ۲۹.
۲۴. هایدر، مارتین. (۱۳۸۶هـ. ش). **هستی و زمان**. (ترجمه سیاوش جمادی). تهران: ققنوس.

ج - الإنجليزية

25. Hartman, R.R.K. and Stork. (۱۹۷۳). **F.C. Dictionary of language and linguistics**. London: Applied Science Publishers.